في الذكرى التاسعة لبيعة الملك عبدالله بن عبد العزيز

تسع سنوات.. عطاءٌ بلا حدود .. ومنجزات بحجم الجهود

السادس والعشرون من شهر جمادى الآخرة عام ١٤٢٦ هـ سيظل يوماً خالداً في ذاكرة الشعب السعودي؛ فهو يوم تولي باني النهضة الحديثة لهذه البلاد خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود - حفظه الله - مقاليد الحكم. والاحتفاء بهذه المناسبة هو احتفاء بسنوات من الأمن والأمان والإنجاز والعطاء. تسع سنوات كانت حافلة بالمنجزات وبالمشاريع التنموية الكبرى التي طالت الوطن على اتساع رقعته في تنمية متوازنة وشاملة لجميع المجالات؛ هدفها الارتقاء بالخدمات المقدمة للمواطن بوصفه المحور الدائم الذي تتجه إليه كل جهود التنمية لرفاهيته وأمنه اجتماعياً واقتصادياً في الإطار الرحب لقيم وتعاليم العقيدة الإسلامية السمحة.

منذ أن تولى خادم الحرمين الشريفين مقاليد الحكم وهو يسابق الزمن في مسيرة تنموية متوازنة؛ وتحديث وتطوير لإدارة الدولة بما يواكب مستجدات العصر وتطوراته؛ ويستجيب للمرحلة التي تعيشها المملكة؛ فكانت المنجزات على أرض الواقع بحجم الجهود التي بذلها - أيده الله - بعزمه وحكمته وبعد نظره؛ وتحولت مناطق المملكة في الأعوام التسعة الماضية بعمرها القصير في الزمن.. إلى ورش عمل لتتوالى الإنجازات تلو الإنجازات في مسيرة التطور والنجاح لمصلحة الوطن ورفاهية مواطنيه، تجسدت فيها أسمى ملامح التلاحم، وسادت بين الشعب وقيادته روح المحبة والتفاهم.

الملك عبدالله بن عبدالعزيز - يحفظه الله - الذي وعد شعبه فأوفى سخر الموارد المالية للدولة إلى الاستثمار في الإنسان السعودي فهو هدف التنمية وركنها الأساس؛ وكان تطوير التعليم بشقيه العام والعالي في أولى اهتمامات الملك المفدى؛ فجاء مشروع الملك عبدالله لتطوير التعليم العام؛ وأمر - أيده الله - بالتوسع في افتتاح الجامعات في مختلف مناطق المملكة ليصل عددها في غضون تسع سنوات إلى نحو (٣٠) جامعة تتنوع بها التخصصات العلمية.

إنفاق بسخاء على تنمية الإنسان السعودي

وفي سياق متصل وبالتوازي مع افتتاح الجامعات جاء برنامج خادم الحرمين الشريفين للابتعاث الخارجي لتمكين الطلاب والطالبات من إكمال دراساتهم العليا في أرقى الجامعات العالمية في أمريكا ودول أوروبا؛ وفي بعض دول شرق آسيا وأستراليا ونيوزلندا؛ لينهلوا من مختلف المعارف وفي مختلف التخصصات العلمية التي يحتاجها سوق العمل في المملكة.

وحظي القطاع الصحي باهتمام ورعاية خادم الحرمين الشريفين لتقديم الرعاية الصحية للمواطنين، فتزامناً مع تطوير وزارة الصحة، وإرساء نهج العدالة والشمولية والتكامل واتباع سياسة الشفافية والمصداقية التي غرسها - رعاه الله - في هذا البلد المعطاء، وتأكيده الدائم في مقولته المأثورة "لا شيء يغلى على صحة المواطن» وجه - أيده الله - قبل نحو عام باعتماد أكثر من (١٥,١٠٠,٠٠٠,٠٠٠) ريال لإنشاء (٢٢) مشروعًا طبيًا، منها (١٩) مجمعاً طبياً ومستشفى، و(٣) مراكز لاضطرابات النمو والسلوك للأطفال، تعد أول مراكز تنشأ في المملكة تعنى بهذه الفئة حيث توفر لمرضى التوحد ومرضى فرط الحركة وغيرهم مراكز على أعلى مستوى من الرعاية والعلاج.

وشهدت المملكة المزيد من المنجزات التنموية العملاقة على امتداد مساحاتها الشاسعة في مختلف القطاعات الاقتصادية والصحية والاجتماعية والإسكان؛ والنقل والمواصلات والصناعة والكهرباء والمياه والزراعة تشكل في مجملها إنجازات جليلة تميزت بالشمولية والتكامل في بناء الوطن وتنميته مما يضعها في رقم جديد في خارطة دول العالم المتقدمة.

واتسم عهد خادم الحرمين الشريفين بسمات حضارية رائدة جسدت ما اتصف به - رعاه الله - من صفات متميزة، أصدر العديد من القرارات التي تستهدف تحسين المستوى المعيشي للمواطنين بزيادة رواتب موظفي الدولة؛ ودعم المخصصات للقطاعات الخدمية؛ وللمستفيدين من الضمان الاجتماعي؛ وأنشأ الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد؛ وشيد المدن الطبية والمستشفيات؛ وفي عهده أنشئت المدن الاقتصادية لتوفر مئات الآلاف من الوظائف للشباب السعودي؛ وتشكل رافداً من روافد الاقتصاد السعودي.

ونهج الملك عبدالله بن عبدالعزيز سياسة التحديث المتدرج للأنظمة، والإصلاح الإداري؛ فأعاد هيكلة بعض الأجهزة الحكومية، وأحدث أجهزة أخرى تتطلبها المرحلة الحالية.

وسعيا منه - حفظه الله - لإيجاد حلول عاجلة لمسألة البطالة ونحوها التي توليها الدولة جل اهتمامها، دعم البنك السعودي للتسليف والادخار لتمكينه من تلبية طلبات القروض الاجتماعية ، وتمويل ورعاية المنشآت الصغيرة والناشئة، وأصحاب الحرف والمهن من المواطنين ليزاولوا أعمالهم بأنفسهم ولحسابهم، وتوفيراً لفرص العمل لهم، وتنفيذ برامج للتوفير والادخار لذوي الدخول المتخفضة من المواطنين.

ومجلس الشورى شهد في هذا العهد الزاهر نقلة نوعية حينما أصدر خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز قراره التاريخي بتعيين المرأة عضواً في المجلس وبنسبة لا تقل عن عشرين في المئة من عدد أعضاء مجلس الشورى؛ وهو امتداد لما يحظى به مجلس الشورى من الاهتمام والرعاية من القيادة الرشيدة وحرصها على تفعيل أعمال المجلس بوعي أساسه العقلانية ويقوم على التدرج؛ وبهذا القرار منح - أيده الله - المرأة السعودية المشاركة في الحياة السياسية وهو امتداد لما أولاه - يحفظه الله - للمرأة السعودية من اهتمام وتقدير لما وصلت إليه من مكانة علمية وخبرات عملية.

وتمكن خادم الحرمين الشريفين - حفظه الله - بحنكته ومهارته في القيادة من تعزيز دور المملكة في الشأن الإقليمي والعالمي سياسياً واقتصادياً وتجارياً، وأصبح للمملكة وجوداً أعمق في المحافل الدولية، وفي صناعة القرار العالمي، وشكلت عنصر دفع قوي للصوت الإسلامي والعربي في دوائر الحوار العالمي على اختلاف منظماته وهيئاته ومؤسساته.

وأولى خادم الحرمين الشريفين المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف جل عنايته ورعايته امتداداً لجهود قادة هذه البلاد منذ ان وحد أركانها جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود - طيب الله ثراه -.

دور محوري للمملكة في المحافل الدولية، وفي صناعة القرار العالمي

ويُعد مشروع الملك عبدالله بن عبدالعزيز لتوسعة المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف درة الأعمال الجليلة التي اضطلع بها خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز - حفظه الله - في خدمة الإسلام والمسلمين؛ فقد وضع الملك المفدى - أيده الله - هذا المشروع الذي تفخر به الشعوب الإسلامية في مقدمة الاهتمامات الكبرى للمملكة العربية السعودية وأسبغ عليه كريم عنايته ورعايته وإشرافه الشخصي انطلاقا من إيمانه العميق بأن ذلك أمانة شرفت بها هذه الدولة فتحملت مسؤولياتها حتى وفق الله تعالى قيادتها للإنفاق على هذا العمل الجليل أداء للواجب واضطلاعا بالمسؤولية دونما انتظار شكر أو ثناء من أحد؛ وإنما رجاء المثوبة والأجر عند الله تعالى واحتساب ما لديه بخير الأعمال وصالحها وتسهيل أداء المسلمين مناسكهم وتوفير الأمن والطمأنينة

لهم ويجسد هذه العناية والرعاية واقع الحرمين الشريفين الذي لمسه ويلمسه المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها.

وشهد المسجد الحرام أضخم توسعة في التاريخ شملت مساحة تقدر بـ٤٠٠ ألف متر مربع وبعمق ٣٨٠ متر بطاقة استيعابية بأكثر من مليون ومئتي ألف مصل تقريبا؛ وجاءت التوسعة لتواكب الازدياد المطرد في أعداد الحجاج والمعتمرين والمصلين في جنبات المسجد الحرام في أوقات الذروة من العام وخصوصاً في شهر رمضان المبارك والأعياد وموسم الحج. وتلبي التوسعة جميع الاحتياجات والتجهيزات والخدمات التي يتطلبها الزائر مثل نوافير الشرب والأنظمة الحديثة للتخلص من النفايات وأنظمة المراقبة الأمنية، إلى جانب تظليل الساحات الشمالية، وترتبط التوسعة الحالية بالتوسعة السعودية الأولى والمسعى من خلال جسور متعددة لإيجاد التواصل الحركي المأمون من حيث تنظيم حركة الحشود، وستؤمن منظومة متكاملة من عناصر الحركة الرأسية حيث تشمل سلالم متحركة وثابتة ومصاعد روعي فيها أدق معايير الاستدامة من خلال توفير استهلاك الطاقة والموارد الطبيعية بحيث تم اعتماد أفضل أنظمة التكييف والإضاءة التي تراعي ذلك.

أضخم توسعة في التاريخ للحرمين الشريفين

كما تم إنجاز التوسعة الكبرى في المسعى مما ضاعف المساحة الاستيعابية إضافة إلى مشروع قطار الحرمين السريع ومشروع قطار المشاعر المقدسة وساعة مكة المكرمة ووقف الملك عبدالعزيز، وحرصا منه - أيده الله - على راحة الحجاج والمعتمرين أمر خادم الحرمين الشريفين بتوسعة المطاف، بحيث يتسع بعد انتهاء تنفيذه بمشيئة الله تعالى لـ ١٣٠ ألف طائف بدلاً من ٥٢ ألف طائف.

وفي المسجد النبوي الشريف أمر خادم الحرمين الشريفين بأكبر مشروع بما يجعله يستوعب ما يقارب ٢,٨ مليون مُصل، مع ما يصاحب ذلك من خدمات، وتشمل هذه التوسعة التاريخية مسطحات بناء إجمالية تقدر بنحو مليون متر مربع مع إضافة بوابة رئيسية للتوسعة الجديدة بمئارتين رئيسيتين وأربع منارات جانبية على أركان التوسعة والساحات وبطاقة استيعابية تسع ما يزيد على مليون وستمئة ألف مُصل ما يوفر أماكن للصلاة بالأدوار المختلفة تقدر بأكثر من ثلاثة أضعاف المساحة الحالية، وفي المشاعر المقدسة كان المشروع الضخم والفريد من نوعه لتطوير الجسر ومنطقة الجمرات الأهم والأبرز في منظومة الأمن والسلامة لحجاج بيت الله الحرام بمشعر منى بتكلفة نحو أربعة مليارات ريال؛ ليصبح الزحام عند رمي الجمرات من الماضي.

مبادرة للحوار العالمي تؤسس مركزاً عالمياً للحوار

وفي مجال الحوار العالمي دعا خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود - حفظه الله - في أكثر من مناسبة إلى تعزيز الحوار بين أتباع الديانات السماوية والثقافات والحضارات المعتبرة وإلى ضرورة تعميق المعرفة بالآخر وبتاريخه وقيمه وتأسيس علاقات على قاعدة الاحترام المتبادل والاعتراف بالتنوع الثقافي والحضاري.

وبهذه المبادرة وصف العديد من خبراء السياسة في العالم خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز بأنه صانع تاريخ؛ وسجل اسمه - أيده الله - ضمن أكثر الزعماء في العالم داعماً للسلم والأمن الدوليين.

وعقد المؤتمر العالمي للحوار في مدريد في شهر يوليو ٢٠٠٨؛ وتوج بتأسيس مكرز الملك عبدالله بن عبدالعزيز للحوار العالمي في العاصمة النمساوية فيينا ؛ ليكون منارة للحوار والتفاهم بين أتباع الأديان السماوية والثقافات ونشر ثقافة الحوار والتسامح وتعزيز مبادئ السلم والاستقرار في مختلف أصقاع الأرض.

والمملكة العربية السعودية التي تؤكد على الدوام أنها صوت عدل نادت به على لسان قائدها، نحو القيم الإنسانية والأخلاقية، ودعوة للتعايش والحوار العاقل والعادل، لما فيه خير الإنسان والحفاظ على كرامته، وتعزيز قيم الأخلاق، مازالت تكتسب يوما بعد يوم احترام وتقدير قادة دول العالم والعلماء من الدول الإسلامية وغير الإسلامية كافة لسعيها المخلص والدؤوب نحو السلام والاستقرار في العالم.

لقد جعل خادم الحرمين الشريفين المملكة العربية السعودية واحة أمن وعطاء عمتها التنمية كأعظم حركة بناء حضاري في تاريخها الحديث، ليشهد لها العالم أجمع بمكانتها المرموقة ومواقفها المعتدلة والمؤيدة للأمن والسلام في العالم أجمع.

إنجازات عظيمة تقف شامخة على أرض الواقع؛ وشاهدة على ما بذله خادم الحرمين الشريفين من جهود وما قدمه من ومبادرات مهمة استشعرها ولمسها أبناء وطنه؛ وستذكرها الأجيال بمشاعر الفخر والاعتزاز.